Coptology

موسم حملات التشهير ونشر الجهل

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٩

www.coptology.org

اعتدنا مع اقتراب موعد معرض القاهرة الدولي للكتاب، أن تنشط حملات التشهير ونشر الجهل، بغرض الضغط على مراكز اتخاذ القرار لمنع عرض كتبٍ وموادَ معينة. ولأن هذه الحملات لا همَّ لها إلا نشر الجهل فعلاً، لا نجد لها إلا مرجعية واحدة، ألا وهي مرجعية الميكروفون والحديث العام الذي يلقيه أياً كان من على منابر الكنيسة، عن موضوعات تدخل في دائرةِ تخصصٍ دقيق تتأبى بطبيعتها على الطرح العام، وعلى غير المتخصصين في هذه الموضوعات.

تُرى ما هي الاستفادة التي ينتظرها نيافة الأنبا رافائيل من طرح موضوع عدم شرح القمص متى المسكين لخاتمة إنجيل مرقس، على عامة الشعب وفي اجتماعٍ عام؟ تُرى كم مستمع من الذين كانت عيونهم ترنو إليه، لديه الطبعة النقدية لأسفار العهد الجديد العالمية، حتى يعرف أن هذه الخاتمة غائبة بالفعل من بعض المخطوطات؟ وكم منهم سبق له أن قرأ رد القديس جيروم على بيلاجيوس (ك ٢: ١٥)، الذي ذكر فيه أن خاتمة إنجيل مرقس غائبة من بعض المخطوطات اليونانية؟ ومَن مِن هؤلاء المستمعين سبق له أن اطلع على قائمة المخطوطات الواردة في حاشية (مرقس ١٦: ٩ – ١٦) بعد أن نُشرت النسخة السينائية والفاتيكانية طبعة Nestle – Aland؟

لم يكن القمص متى المسكين –يا سيدي– هو الذي حذف خاتمة إنجيل مرقس، بل كانت فعلاً غائبة عن بعض نسخ، وإن وُجدت في نسخ أخرى أشار إليها Bruce Metzger في كتاب له نُشر عام ١٩٨٦ بعنوان The Canon of The NT (راجع ص ٢٦٩-٢٧٠).

لذلك، فإن السؤال الذي يزعج ضمير أي مسيحي حقيقي هو ما هو الهدف من بث الشك والريبة في شرح إنجيل مرقس للأب متى المسكين؟ هل هو حديث يسبق معرض الكتاب الدولي، بغرض تبرير عدم عرض كتب دير الأنبا مقار، وفي مقدمة هذه الكتب، مؤلفات الأب متى المسكين الذي مازال يحاكم فقط أمام الميكروفونات؟

ما الذي يهدف إليه نيافة الأنبا رافائيل من التشكيك في كتابات الآباء والادعاء

بأن اللاهوتيين الروس الذين تركوا الاتحاد السوفيتي بعد الثورة البلشفية أنشأوا ما يسمى بـ "اللاهوت الجديد"؟ ما هو هذا اللاهوت الجديد بكل أمانة وإخلاص؟ وما هي مؤهلات تلك المجموعة من الشباب التي "تبحث وتدوَّر" حتى تأخذ بنتيجة تلك الأبحاث كحقيقة مسلَّمة؟ ولماذا لم نرَ انتاجهم إلا من خلف الميكروفون؟

لقد دُهشت لتلك الألفاظ العامة التي ما جرؤ الأنبا روفائيل على أن يلقي بها على مستمعيه في اجتماع عام، إلا ثقةً منه في أن الجالسين أمامه لن يفتشوا وراءه، متناسياً أن شبكة المعلومات الدولية قد فتحت بحر المعرفة للعالم كله. وتناسى أن الخوف من مواجهة مشاكل تاريخية في الوثائق القديمة –كمشكلة نهاية إنجيل مرقس– هو الذي دفع البعض إلى الشك، لا إلى الإيمان. لقد تناسى نيافة الأنبا رافائيل أن إيماننا ليس من كتاب، فهذه مقولة عصر الإصلاح الأوروبي، التي جاءت بعد ١٦٠٠ عام من انتشار المسيحية، فما العهد الجديد إلا شهادات الذين عاشوا وعاينوا ما حدث، وهو ليس تنزيلاً من التنزيل.

أقول لنيافة الأنبا روفائيل بكل صدق، حنانيك يا رجل، لأن الجيل الذي وُلِد في الثمانينيات من القرن الماضي وما بعدها، يملك مراجعة كل ما تقول، ولديه كل أدوات المراجعة من معرفة باليونانية والقبطية، وغيرها من اللغات، وأن النهضة الآبائية لن تتوقف لأن مد المعرفة لا يمكن لأي سلطان ولا حتى السيف، أن يمنعه؛ لأن الإنسان خُلِق لكي يبحث. فعندما فشلت القوة العسكرية في فيتنام، قال قائد القوات الأمريكية: إن "البندقية لا تستطيع أن تقتل الفكر".

إن نشر الجهل وبث الشك والريبة، إن هو إلا تدمير لبنيان الكنيسة، الذي نطلبه في كل قداس: "سلاماً وبنياناً لكنيسة الله الواحدة الوحيدة الجامعة الرسولية". وإذا كان القمص متى المسكين قد رحل إلى عالم النور، إلا أن مؤلفاته ستبقى في المكتبة القبطية الفقيرة جداً؛ لأن "مَن كَتَبَ لم يمت".

د. جورج حبيب بباوي